المورد

استدراكات على ديوان الأعمى التطيلي

تحقيق الدكتور احسان عباس
نشر دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٣

بقلم الدكتور
محمد مجيد السعيد
عميد كلية التربية ـ جامعة البصرة

ينقسم الكتاب الى عدة اقسام يشمل القسم الاول اشعار الاعمى التطيلي (ابي جعفر احمد بن عبدالله التطيلي المتوفى ٥٢٥هـ) التي حققها الدكتور احسان عن مخطوطتين تضمان ديوان الشاعر هي نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٩٣ ادب ونسخة المتحف البريطاني رقم Add- 6673 ، اما القسم الثاني فانه يحتوي على القصائد والمقطوعات الشعرية التي اغفلتها المخطوطتان السابقتان جمعها المحقق من المصادر والمراجع التي تعرضت للشاعر وقسم ثالث خاص بموشحات الاعمى التطيلي جمعها المحقق الفاضل من عدة كتب حرصا منه على تقديم عمل كامل للقراء ثم ختم الديوان باستدراكات وتعليقات وملف بتخريج القصائد وفهارس وافية وقائمة بالمراجع .
والديوان بمحتوياته آنفة الذكر عمل قيم وجهد كبير ومعاناة شاقة عودنا على امثالها الدكتور عباس في معظم نتاجاته ، فهو يحرص جاهدا على التثبت والامانة والدقة وتحقيق فائدة علمية ، وفناء فكري فيما يكتبه ولسنا هنا بحاجة الى التعريف بمحقق الكتاب الدكتور عباس الذي عرفه القارىء العربي دارسا وناقدا ومترجما ومحققا ولكننى اود ، ونحن بصدد استعراض هذا الديوان ، ان الفت مستدركا على الاستاذ الفاضل . ثلاث قصائد وردت للشاعر التطيلي في مخطوط الذخيرة لابن بسام ، ولم يضمها الديوان المحقق ، برغم ان الدكتور عباس قد اعتمد كتاب الذخيرة في جملة مصادره ، وموشحة واحدة ضمن موشحات (توشيح التوشيح) للصفدي. وردت منسوبة للشاعر التطيلي وقد اغفلها المحقق فلم يثبتها في الديوان مع مجموعة موشحاته .

ولفائدة الذين يهمهم تراث الاعمى التطيلي خاصة والشعر الاندلسي عامة ، وغيرة مني على الادب الاندلسي ، اتقدم بتثبيت تلك النصوص كاملة (القصائد والموشحة) .

١ ـ القصيدة الاولى مكونة من ستة عشر بيتا لم يورد المحقق منها في الديوان سوى اربعة ابيات (١) . والقصيدة هي :

١ ـ (النوم بعدكم عليّ محرّم
من ذا ينام وقلبه يتضرّم)(٢)

٢ ـ ماء الحياة وقد ثايتم آسن
ريق ، ووجه الدهر أسحم مظلم

٣ ـ قد بان عني الصبر لما بنتم
فالوجد ينجد في الفؤاد ويتهم

٤ ـ (اجريتم دمعي دماً لفراقكم
ظلماً ، وقلتم ما لـه لا يكتم)

٥ ـ ما كان اكتمني لسري قبل ان
تكف الدموع كانهن العندم

٦ ـ فاذا شهدت جماعة واعتادني
تذكاركم فاضت دموعي تسجم

٧ ـ (فبحقكم من ذا يعاين ادمعي
تنهلّ ، إلاّ قال هذا مغرم)

٨ ـ حملتموني ثقل بينكم الم
تتبينوا الا اطيق فترحموا

٩ ـ (عاقبتموني في الهوى بذنوبكم
لقد استطعتم إذ قدرتم فاعلموا)

١٠ـ أتظلمونَ وتظلمون بجهدكم
ومن العجائب ظالم متظلم

١١ـ أعتبتم فعتبتم واطعتم
وعصيتم ووصلتم فهجرتم

١٢ـ قد كان لي في هجركم لو انني
أقوى عليه من السلامة سلم

١٣ـ ولقد علمتم انني قد رمته
(فغضبت) فافعلوا ما شئتم(٣)

١٤ـ انتم مناي وفيتم او خنتم
ولكم هواي دنوتم او بنتم

١٥ـ يا حبذا ام الوفاء وان جفت
وتغيرت فهي التي لا تسام

١٦ـ وهي التي انفردت فؤادي كله
ولطالما قد كان وهو مقسم

ب ـ القصيدة الثانية تقوم على ثلاثين بيتا ، في حين لم اجد في الديوان المنشور سوى سبعة ابيات منها فقط ، والقصيدة كاملة هي :

وله في قينة كانت تسمى لذيذة :

١ ـ ياحبّ لذة قد ادنفت فاتئد
ان كنت لست بذي بغض فلا تزد(٤)

٢ ـ ويا لذيذة لا والله ما خطرت
بالقلب ذكراك إلا فتّ في عضدي

٣ ـ أتحسبين فؤادي عنك منصرفاً
وقد حللت محل الروح من جسدي

٤ ـ (بنتم فخلد عندي وشك بينكم
شوقاً نفى جلدي ، لا بل سبى خلدي)

٥ ـ (هيهات يسلو فؤادي عنكم أبداً
اني ووجدي بكم باق على الأبد)

٦ ـ أم الوفاء لحيني مافتنت بكم
والناس قد فتنوا بالمال والولد

٧ ـ الله يعلم اني مذ عرفتكم
لم يخلُ قلبي من خبل ومن كمد

٨ ـ ولا إتكال لعيني بعد فرقتكم
الا على مفنتيها الدمع والسهد

٩ ـ ترى جفونك أرضاها الذي صنعت
بي انها نفثت بالسحر في عقد

١٠ـ أتترك الناس صرعى لا حراك بهم
ولا سبيل الى عقل ولا قود

١١ـ من كان يفظع طعم الموت في فمه
فانه في فمي أحلى من الشهد

١٢ـ فانّ سقمي أضحى ما له أمد
والموت أروح من سقم بلا أمد

١٣ـ بما بلحظك من غنج ومن حور
وما بعطفك من عطف ومن أود

١٤ـ منّي على هائم بالحب مختبل
بالشوق مرتهن بالحزن منفرد

١٥ـ أضحى أسير صدود بل قتيل نوى
رمته منها بسهم عنه لم يحد

١٦ـ يخشى على حبك الحساد يفضحه
فما يبوح به يوماً الى أحد

١٧ـ وان بكى فبدا للعاذلين فمن
غير اختيار ، ولكن عادة الكمد

١٨ـ (أما كفى حزناً ان قد ظميت وقد
عاينت عذب الحيا يجري على البرد)

١٩ـ قد أرهفت دونه سيفان من دعج
بلحظ أحوى لطيف القد ذي غيد

٢٠ـ ورد شهي حماه الموت منصلتاً
فظلت حيران لم أصدر ولم أرد

٢١ـ وما عجوز لها ابنٌ واحد بصرت
به يخوض الوغى في ملتقى كبد

٢٢ـ يوماً باجزع مني يوم قولهم
أضحى لداعي تنائينا غداة غد

٢٣ـ اضحت على الأحدِ الأنواء باكية
فلم ينل أحد ما نلت في الأحد

٢٤ـ لقيت بعلة واللذات قد ذهبت
بنا وقد مات صرف الدهر من حسد(٥)

٢٥ـ (غنت فلو ان ميتاً كان يسمعها
لعاد حياً كأن لم يرد يومَ ردي)

٢٦ـ فهل يسكن عذالي وان جهدوا
ما حركت حركُ الأوتار في كبدي

٢٧ـ يالذّ ما لكِ في قتلي بلا سبب
وانت سؤلي في قرب وفي بعد

٢٨ـ (رفقاً بقلبي يا قلبي فانك قد
اسكنت منه الأسى في السهل والجلد)

٢٩ـ (لم تنطقي قط الا ظلت افرق من
ان استطار فلم ابدىء ولم أعد)

٣٠ـ (ولا مددت يداً للعود عامدة
إلا وضعت عليه ، أن يذوب ، يدى)

جـ ـ وكانت القصيدة الثالثة تتالف من ثلاثة وثلاثين بيتا ولكن محقق الديوان لم يورد منها غير ستة ابيات ، وهي على الصورة التالية :

وقال في قينة كان يهواها(٦) :

١ ـ ياقلب ذب كمداً او لا فلا تذب
ما من تحب ولو تحرص بمقترب

٢ ـ (ركبت هول الهوى من غير تجربة
وراكب الهول محمول على العطب

٣ ـ قد خاب (....) الهوى من بعدما وضحت
منه ضروب منىً ، أحلى من الضرب(٧)

٤ ـ لبيّتَ داعيه لما دعاك وما
دعاك داعي الهوى الا الى الشحب(٨)

٥ ـ حتى اذا (...) من تلك المنى جعلت
(تدعو بطول الويل والحرب)(٩)

٦ ـ أيا لذيذة لا والله مذ حجبت
عني فما لي في اللذات من أرب

٧ ـ (تركتني يا حياتي للردى غرضاً
تفديك أمي من صرف الردى وأبي)

٨ ـ يصلى فؤادي سعيراً من صبابته
والعين في لجة من دمعها السرب

٩ ـ يا رب قد سفكت أم الوفاء دمي
(وقد تخوفت أن تؤآخذ بي)(١٠)

١٠ـ وقد وهبت لها قلبي وما خطري
حتى يعاقب ذاك الحسن من سببي

١١ـ نسيت الا تلاقينا وموقفنا
على مراقبة من أعين الرقب

١٢ـ لما التقينا وقد قيل المساء دنا
وغابت الشمس أو لاذت ولم تغب

١٣ـ واضلعي بين منقد ومنقصف
وادمعي بين منهل ومنسكب

١٤ـ تأملتني أم المجد قائلة
بمن أراك اسير الوجد والطرب

١٥ـ فقلت : قلبي سبيّ وانك لو
كتمت سري لم أكتمك كيف سبي

١٦ـ واعرضت ثم قالت قد أسأت بنا
ظناً أيجمل هذا من ذوي الأدب ؟

١٧ـ فقلت إني امرؤ لما لقيتكم
والمرء وقف على الأرزاء والنوب

١٨ـ سبت فؤادي ذات الخال قادرة
ولا نصيب له منها سوى النصب

١٩ـ (أشقى بها وهي تلهو في بلهنية
شتان والله بين الجد واللعب)

٢٠ـ (أصابت القلب لما ان رمته ولو
رمته أخرى اذن لاشك لم تصب)

٢١ـ فقالت اشك اليها ما لقيت ولا
ترهب فلن تبلغ الآمال بالرهب)

٢٢ـ (عسى هواك سيعديها فيعطفها
فقد يكون الهوى أعدى من الجرب)

٢٣ـ فقلت اعظمها بل ما أكلمها
إلا أشار اليّ الموت من كثب

٢٤ـ قالت : أنا أتولى ذاك في لطف
فقد أؤلف بين الماء واللهب

٢٥ـ فقلت : مثلك من يرجى لمضلة
لازلت في غبطة ممتدة الطنب

٢٦ـ قالت لها : بالذي الحسن صاحبنا
صبا اليك فاضحى جدّ مكتئب

٢٧ـ صليه أو فاقتليه ، فالحمام له
خير من الهجر في جهد وفي تعب

٢٨ـ فلو تراني قد استسلمت مرتقباً
منها حنان الرضى أو جفوة الغضب

٢٩ـ حتى اذا ما الانت تلك جانبها
والقلب مضطرم تسكينه يجب

٣٠ـ طفقت الثم كفيها وقد جنحت
اليك تضحك بين العجب والعجب(١١)

٣١ـ ثم افترقنا وقد ساءت (....)
أن اجتمعنا ولم تأثم ولم تخب(١٢)

٣٢ـ لله مثلي ما أدنى سجيته
من المعالي وأنآها عن الريب

٣٣ـ كم مأثم مستلذ قد هممت به
فلم يدعني له ديني ولا حسبي

د ـ اما الوشح فهو :

يا نازح الدار سل خيالك
ينبيك أن صرت كالخيال(١٣)

أحبب به زائراً ما
أباح ورداً ما كان يحمى
من مبسم ذي غروب ما
أكرع في برده وأظما

أعجب به مورداً أنالك
زيادة الضمء بالزلال

شكوت للطيف حسن عهدي
وان يكن ذاك ليس يجدي
فكم شفى غلّتي ووجدي
وأنت مغرىّ بطول صدّ

وكلما ارتجي نوالك
ضنت بأسعافي الليالي

يا منظراً قيّد العيونا
فمن ترى ما سواه دونا
أذلت عهد الهوى المصونا
هجرك ما خلت أن يكونا

من ذا الذي ظالماً أحالك
يا ليته ذاق بعض حالي

فرّق بين الكرى وبيني
يوم صدود ويوم بين
فكيف يقضي مليّ ديني
ان كان شيئاً تقرّ عيني

بعدك لا اجتلى جمالك
وأنت مني خليّ بال

لما اجتليت الزمان قربه
ضمّن بعض الحديث عتبه
اذ ظن اني سلوت حبه
غنّيته أستميل قلبه
عليّ حبيبي خطر ببالك
اني بغيرك شغلت بالي

* * *

هذه هي جملة الاستدراكات التي وددت التنبيه اليها ، لعلها تساهم في تقريب صورة تراث هذا الشاعر الاندلسي .

والله ولي التوفيق .

هوامش البحث :

١ ـ الابيات المحددة بالاقواس ، في القصائد الثلاث ، هي ماورد في الديوان المنشور .

٢ ـ ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثاني / ٤٥٨ .
(مخطوطة المتحف العراقي ، بغداد ، تحت رقم ١٥٨٧).
ديوان الامعى التطيلي/٢٤٧ ، تحقيق الدكتور احسان عباس .

٣ ـ كذا ورد الشطر الثاني في الاصل .

٤ ـ مخطوطة الذخيرة : ق٢/٤٥٦ ، ديوان التطيلي/٢٤٨ .

٥ ـ في اصل المخطوط (بعلة) ولعلها (لذة) اسم حبيبته .

٦ ـ مخطوط الذخيرة : ق٢/٤٥٥ ، ديوان التطيلي/٢٤٧ .

٧ ـ بياض في الاصل .

٨ ـ الاصل : (ليبت داميه لما ان دماك وما) ، ولعل الصواب ما اثبتناه ليستقيم الوزن .

٩ ـ كلمة غير واضحة في الاصل ، وفيه الشطر الثاني مختل الوزن .

١٠ـ هكذا ورد الشطر الثاني في الاصل ، وهو مرتبك الوزن .

١١ـ في الاصل : جنحت اليك ، ولعلها جنحت اليّ ، ليستقيم المعنى .

١٢ـ في الاصل : كلمة غير واضحة .

١٣ـ الصفدي : توشيع التوشيح/١٢١ ، تحقيق البير حبيب مطلق ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ .

***